

فوضى تعرب مصطلحي

(Cohesion & Coherence)

في لسانيات النص وتحليل الخطاب

أ. ميلود مصطفى عاشور - د. إياد عبد الله

- أ. ميلود مصطفى عاشور :
- بكالوريوس اللغة العربية والدراسات الإسلامية من جامعة المرقب، ليبيا سنة ٢٠٠١م.
- ماجستير في النقد الأدبي من جامعة المرقب، ليبيا سنة ٢٠٠٦م.
- طالب دكتوراه في جامعة العلوم الإسلامية الماليزية (USIM) - كلية اللغات الرئيسة، تخصص: النقد الأدبي الحديث.
- د. إياد نجيب عبدالله :
- ماجستير في دراسات اللغة العربية من جامعة بغداد ١٩٧٨م.
- دكتوراه من كلية الآداب في جامعة بغداد عام ١٩٨٢م.
- عضو هيئة التدريس، بجامعة العلوم الإسلامية الماليزية.

ملخص :

شهدت لسانيات النص وتحليل الخطاب خلال العقدین الأخيرین زخمًا واسعًا في دراسات اللغة العربية وعلومها وآدابها، حيث استفاد الباحثون العرب من نظريات غربية عدة في هذا المجال من أهمها نظرية نحو النص التي وضعت منهجًا متكاملًا لدراسة النص وتحليله، يتجاوز القصور الذي ترتب على منهج نحو الجملة. فقامت حول معايير نظرية نحو النص وتطبيقاتها النقدية على نصوصٍ متنوعةٍ شملت أجناسًا أدبيةً متنوعةً من شعرٍ وروايةٍ ومقاماتٍ ورسائلٍ أدبيةٍ نثريةٍ. ومع هذا الزخم والاهتمام المتزايد بدراسة معايير نظرية نحو النص وتطبيقاتها، اتسعت فوضى تعريب مصطلحات هذه النظرية، وتعددت ترجمات الباحثين لمعاييرها فتعددت المصطلحات التي تعبر عن مفهوم واحد مما نتج عنه خلط مفاهيمي نراه في هذا المجال. وتهدف هذه الدراسة لتأكيد ضرورة توحيد المصطلح اللساني العربي وتأطير مفهومه، وتعرض جانبًا من فوضى تعريب مصطلحات، وتعدد الترجمات التي وُضعت للمصطلحين الغربيين (Cohesion & Coherence) وما نتج عنها من خلط وتضارب وأحيانًا غموض في الدراسات اللسانية العربية الحديثة. ويتبع الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي في استعراض ترجمات مصطلحي (Cohesion & Coherence). وخلصت الدراسة إلى ضرورة

previous research in the multiple translations of the two western terms (coherence & cohesion) and its resultant conflicting and ambiguity in recent studies on Arabic linguistic. The researcher adopted an inductive approach to reviewing the translations of the two western terms (coherence & cohesion). The study concludes by suggesting the need for unifying the Arabic linguistic term and framing its concept based on the heritage roots from which the concept of each term has been ingrained.

Keywords: Cohesion, Coherence, Linguistics, Text, Discourse

مقدمة :

شهدت لسانیات النص وتحليل الخطاب خلال العقدين الأخيرين زخماً واسعاً في دراسات اللغة العربية وعلومها وآدابها، حيث استفاد الباحثون العرب من نظريات غربية في هذا المجال من أهمها نظرية نحو النص التي وضعت منهجاً متكاملًا لدراسة النص وتحليله، يتجاوز القصور الذي ترتب على منهج نحو الجملة. حيث ألف روبرت آلان دي بوجراند Robert De Beaugrande في سنة ١٩٨٠ كتابه: "النص والخطاب والإجراء" - ترجمه الدكتور تمام حسان سنة ١٩٩٨م، وأشار في مقدمته أنه ترجمةٌ للكتاب الموسوم بالإنجليزية: (Text Discourse and Process: Towards A Multi disciplinary Science of texts) - وقد دعا دي بوجراند De Beaugrande في هذا الكتاب إلى إنشاء علم للنصوص، وإيجاد معايير لعالم النص. ثم أعقبه بنشر كتاب آخر بعنوان: مدخل إلى علم النص (Introduction to Text Linguistics) سنة ١٩٨١م بالمشاركة مع العالم ولفغانغ دريسلر Wolfgang Dressle الذي قدّم فيه الباحثان أركان نظرية نحو النص وفق منهج وصفيّ يسعى إلى فهم الظاهرة اللغوية، والكشف عن القوانين التي تحكم النص، وحددا فيه شروط النصية في سبعة معايير هي: التماسك والانسجام والقصد والقبول والمقامية

والتناص والإعلامية. وبعد عقدٍ ونيفٍ من نشر دي بوجراند ودريسلر كتابهما (Introduction to Text Linguistics) قدم الباحثان: إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد سنة ١٩٩٢، ترجمةً لفصوله معززةً بتطبيقاتٍ لمعاييرها السبعة على النصوص العربية^(١)، "وقد أضافا -بذلك- إلى المكتبة العربية مفهوماً مهماً من عناصر علم اللغة النصي، وهو المعايير المعتمدة في تشكيل صفة النصية لأي نص"^(٢).

لقد مهدت معايير هذه النظرية الطريق إلى الوصول إلى تحليل نصيٍّ شموليٍّ، يمكن الاطمئنان إلى نتائجه. والانتفاع به في قراءة النصوص وكتابتها ونقدها، وفي تعليم اللغات ودراسات الترجمة. كما أنها صارت علماً مهماً وفعالاً في تحليل الخطاب النقدي واللغوي للإبداع الأدبي. حيث قامت دراسات عربية عدة حول معايير نظرية نحو النص وتطبيقاتها النقدية على نصوصٍ متنوعةٍ شملت أجناساً أدبيةً متنوعةً من شعرٍ وروايةٍ ومقاماتٍ ورسائلٍ أدبيةٍ نثريةٍ، ونسلط الضوء في هذا السياق على الدراسات والأبحاث والكتب العربية التي ترجمت معايير نظرية نحو النص اعتماداً على ما طرحه دي بوجراند ودريسلر سنة ١٩٨١م أو حتى ما سبقهما من إرهاصات وبحوث غربية كالتالي قدمها فان ديك

(١) مدخل إلى علم لغة النص. ط١، مطبعة دار الكاتب، نابلس. فلسطين.

(٢) عاصم شحادة علي. ٢٠١٢. مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت ديوجراند وولفجانج دريسلر. (مراجعات الكتب) مجلة التجديد المجلد ١٦، العدد ٣١.

(Van Dijk)^(١) أو هاليداي، ورقية حسن (Halliday, M.) (1976) and R. Hasan^(٢) ولضيق المقام؛ نقتصر على استعراض ومناقشة الدراسات التي اهتمت بوضع مصطلحات عربية للدلالة على مفهومي (Cohesion & Coherence) لنرصد أبعاد الاضطراب في استعمال المصطلحات التي تعبر عنهما، وما ترتب عليها من فوضى وتباين خلق نوعاً من الاضطراب وعدم الوضوح، وأدى ببعض الباحثين إلى أن يُحملوا هذه المصطلحات ما لا تحتمل من مفاهيم، أو استعمالها في مواضع غير مناسبة، فلا تؤدي معناها أداء تاماً دقيقاً، وتخلق لبساً لدى القراء.

وجدير بالذكر أن مشكلة فوضى المصطلح بل تنوع المصطلح ليست جديدة، وليست خاصةً بعلوم العربية، بل هي ظاهرة نلاحظها في شتى العلوم عربيها وأعجميها، وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها انتقت مصطلحين لسانيين أجنيين معاصرين لتدرس مقابلاتهما العربية التي استعمالها علماء العربية المعاصرون، وهذا مجاله التاصيل والمقارنة في الدرس اللغوي المعاصر، وهو مجال مهمٌ ومفيدٌ؛ لأنه يبصر الدارسين والمبتدئين بأساس المصطلح لفظاً ومعنى.

- (1) Van Dijk, T. A., Some Aspects of Text Grammar, Haag, 1972. & Text and Context : Explorations in the Semantics and Pragmatics of Discourse. London: Longman. 1977.
- (2) Halliday, M.A.K. and R. Hasan (1976) Cohesion in English, London & New York: Longman.

ترجمة مصطلحي (Cohesion & Coherence) إلى العربية

اعتمدت نظرية نحو النص مصطلح (Cohesion) للدلالة على تماسك أجزاء النص بوسائل لفظية. وهذا ما يتفق عليه أغلب الباحثين العرب المهتمين بحقل لسانيات النص وتحليل الخطاب^(١). لكن الاتفاق حول المفهوم قابله اختلاف واضطراب في وضع المصطلح المناسب الذي يعبر عنه؛ حيث نرصد مصطلحات عدة عبّر بها الباحثون العرب عن معيار (Cohesion) الذي وضعه روبرت آلان دي بوجراندي Robert De Beaugrande ولفغانغ دريسلر Wolfgang Dressler (١٩٨١) ضمن معايير النصية السبعة التي تقوم عليها نظرية علم لغة النص. ونرصد فيما يلي المصطلحات التي استعملها الباحثون وعلماء اللسانيات العرب للدلالة على المصطلحين الغربيين (Cohesion & Coherence).

لعل دراسة سعد مصلوح التي نشرت في مجلة فصول سنة ١٩٩١ تحت عنوان "نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية"^(٢)، هي أول دراسة نقدية عربية تطرقت لترجمة

(١) ينظر مثلاً: محمد خطابي. لسانيات النص مدخل لتحليل الخطاب. ط١. ١٩٩١. المركز الثقافي العربي. بيروت. ص: ٥. سعيد بحيري علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات. ط١. ١٩٩٧. الشركة المصرية للنشر. القاهرة. ص: ١٤٥.

(٢) سعد مصلوح نحو أجرومية للنص الشعري. دراسة في قصيدة جاهلية. مجلة فصول. المجلد ١٠. العددان ١ و ٢.

مصطلحي (Cohesion & Coherence) الغربيين وطبقتهما على النص الشعري العربي ودعت إلى تأصيل المصطلحين استناداً إلى الموروث التراثي. حيث صرح مصلوح في تقديمه لهذه التجربة النقدية قائلاً: "هذه الدراسة هي محاولة أولى لامتحان جانب من الفروض والإجراءات التي تشكل ملامح فكرة أجرومية النص Text Grammar نحو النص = لسانيات النص Text linguistics، على النص العربي في الشعر خاصة"^(١).

ويبدو أن سعد مصلوح كان يعي أهمية التأسيس للمصطلحات التي استعملها مقابل المصطلحات الغربية، وصرح بما يفيد أنه لا يضع ترجمة للمصطلحين من عنده بل استند إلى علةٍ منطقيةٍ وسببٍ موضوعيٍّ تفرضه الثقافة العربية وخصوصية تراثها الأدبي والنقدي؛ فقد أثر سعد مصلوح الاعتماد على الإرث النقدي والتراث البلاغي في الترجمة التي وضعها للمصطلحين الغربيين حين وضع مصطلح السبك للدلالة على (Cohesion) ومصطلح الحيك للدلالة على (Coherence) وذكر أنهما "أقرب شيء للمفهوم الذي يراد، وأكثر شيوعاً في أدبيات النقد القديم"^(٢) أي: إنها أنسب ترجمة تعبر عن مفهومهما استناداً للجذور التراثية.

وأشار في الوقت نفسه إلى جهود بعض الباحثين في ترجمة المصطلحين قائلاً: "بُذلت محاولات كثيرة لترجمة مصطلحي

(١) نفسه. ص: ١٥٣.

(٢) نفسه. ص: ١٦٦.

(Cohesion) و (Coherence) أشهرها: ترجمتهما بالتماسك والالتحام والاتساق والانسجام، وقد وصلنا بعد طول تفكير وإنعام نظر إلى السبك مقابلًا لمصطلح (Cohesion)، والحبك مقابلًا لمصطلح (Coherence). ونحسب أنهما مقابلا عربيان يتسمان بالإفصاح والإبانة والتساق، كما أنهما أقرب شيء إلى المفهوم المراد، وأكثر شيوعًا في أدبيات النقد القديم^(١).

وكان يؤمل - بعد محاولة سعد مصلوح لتأصيل هذين المصطلحين وغيرهما- أن تلتف حولها جهود الباحثين للعمل على توحيد المصطلح اللساني، لكن ذلك لم يكن؛ إذ نرصد ما يمكن أن نسميه فوضى مصطلحية في كتب اللسانيات وتحليل الخطاب وفي الأطاريح العلمية وفي الأوراق البحثية في مجال لسانيات النص وتحليل الخطاب. فمثلًا نجد محمد خطابي يصدر كتابًا في السنة نفسها التي نشر فيها سعد مصلوح تجربته النقدية (١٩٩١) ويفاجئنا بمصطلحات جديدة تدل على ذات المفاهيم؛ حيث يقول خطابي في مقدمة كتابه: لسانيات النص مدخل لانسجام الخطاب: "يقصد عادة بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية"^(٢) أي: إنه يجعل التماسك مرادفًا للاتساق وصفة له.

(١) نفسه.

(٢) محمد. خطابي. ١٩٩١. "لسانيات النص مدخل لتحليل الخطاب". ط ١.

المركز الثقافي العربي. بيروت. ص: ٥.

وهذا في حد ذاته يسبب نوعاً من اللبس لأنه فسّر مصطلح الاتساق بمصطلح التماسك الذي يستعمله بعض الباحثين للدلالة (Coherence). ثم يضع في مقدمة أول أبواب كتابه هذا ترجمة لعنوان كتاب هاليداي ورقية حسن على هذا النحو " (Cohesion in English = الاتساق في اللغة الإنجليزية)"^(١) فنفهم من علامة التساوي (=) التي وضعها بين الجملة العربية ونظيرتها الإنجليزية أنه يترجم لنا مصطلح (Cohesion) إلى الاتساق. لكنه سرعان ما يورد مصطلحاً جديداً هو مصطلح الترابط مقترناً بمصطلحي الانسجام والبنيات الكبرى^(٢). ثم يجعل من مصطلح الترابط عنواناً لفقرة يتحدث فيها خطابي عن رأي فان ديك في مفهوم ترابط القضايا التي تعبر عنها جملة أو متتالية نصية^(٣) وهذا هو ذاته مفهوم الاتساق.

ويبدو أن خطابي أثر عدم استخدام مصطلح الاتساق عندما تحدث عن آراء فان ديك لأن هذا الأخير لم يستعمل مصطلح (Cohesion) في كتابه النص والسياق -الذي يستقي منه خطابي آراء فان ديك في هذا المقام- إلا مرة واحدة^(٤) حيث أثر فان ديك

(١) نفسه. ص: ١١.

(٢) ينظر: نفسه. ص: ٢٧.

(٣) ينظر نفسه. ص: ٣٤.

(4) Van Dijk, Teun A. 1977. Text and Context: Explorations in the Semantics and Pragmatics Of Discourse London: Longman. P 126.

استعمال مصطلح (Connection) الذي ترجمه خطابي بدوره إلى الترابط مع علمه بأن مفهوم كلا المصطلحين (Connection) و (Cohesion) واحد. ولعل هذا يفسر لنا أيضاً سبب استعمال صلاح فضل - فيما بعد - لمصطلح الترابط وسبب إشاره لذكر المصطلح الغربي Connection على المصطلح Cohesion. وهذا يدل على أن أحد أسباب تعدد المصطلحات العربية للمفهوم ذاته يمكن إرجاعه إلى اختلاف المصدر الغربي أو الأصل الذي ينقل عنه أو يعتمد عليه الباحث العربي.

إن تعدد المصطلحات التي تعبر عن مفهوم واحدٍ من شأنها أن تسبب الحيرة والإرباك والغموض لدى القراء والباحثين ولاسيما طلاب الدراسات العليا الذين صرح لهم خطابي منذ مقدمة الكتاب بأنه يعتمد مصطلح الاتساق للدلالة على (Cohesion) ومصطلح الانسجام للدلالة على (Coherence). ثم فاجأهم بمصطلح جديدٍ هو مصطلح الترابط وكان الأجدى الالتزام بالمصطلحات التي قدمها وتبناها في مقدمة كتابه.

أما صلاح فضل (١٩٩٢) فقد خصص دراسته لتنظير لسانيات وتحليل الخطاب وسماها "بلاغة الخطاب وعلم النص" لم يذكر فيها هذا المصطلح Cohesion، ولكنه أورد مصطلح (Coherence) مرةً واحدةً عندما تحدث عن التحليل النصي قائلاً: "التحليل النصي إذن يبدأ من البنية الكبرى المتحققة بالفعل

وهي تتسم بدرجة قصوى من الانسجام والتماسك
Coherence" (١). وتستوقفنا هنا أسئلة عدة حول ورود هذه
المصطلحات بهذه الكيفية:

١- هل الانسجام مرادف للتماسك.

٢- لماذا لم يذكر المؤلف (Cohesion) مع أنه ذكر
(Coherence) بصيغته الإنجليزية؟

٣- هل يقصد بمصطلح الانسجام (Coherence) ؟

وعند البحث عن إجابات لهذه الأسئلة يتضح لنا أن صلاح
فضل قد وضع مصطلح الانسجام مقابلًا (Coherence) أما
مصطلح التماسك فلا ندرى على وجه التحديد ماذا أراد به هنا؟
لأنه استعمله مراتٍ عدةً وكان في كل مرة يأتي بمفهوم فمثلاً:

يقول: "مفهوم التماسك ينتمي إلى مجال الفهم والتفسير" (٢)،
يعني: (Coherence).

ويقول: "التماسك اللازم للنص ذو طبيعة دلالية" (٣)، يعني
(Coherence).

ثم يعود ليصف التماسك بأنه "يتميز بخاصية خطية" يعني
(Cohesion).

(١) صلاح فضل. ١٩٩٢. "بلاغة الخطاب وعلم النص". سلسلة عالم المعرفة .

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. العدد ١٦٤. ص: ٢٣٦.

(٢) نفسه. ص: ٢٤١.

(٣) نفسه.

ثم ينقل لنا رأياً لفان ديك قائلاً: "ويشرح لنا فان ديك عمليات الترابط بين المتتاليات النصية، والتماسك الوظيفي بين الوحدات الكبيرة ودور القراءة والتأويل في تحديدهما على أسس دلالية ومنطقية"^(١).

فالترابط بين المتتاليات النصية يعني (Cohesion).

بينما يعني بالتماسك الوظيفي الدلالي (Coherence).

ثم يعود ليؤكد هذا التمييز بين الترابط والتماسك في قوله: "ويميز علماء النص بين أنواع الترابط الموضوعي الشرطي للنص، والتماسك الوظيفي فيه"^(٢).

ومن هذا كله يتولد سؤالٌ جديدٌ. ما الذي يقصده صلاح فضل بالترابط؟ أو بالأحرى ما مفهوم الترابط عند صلاح فضل؟ يبدو أن صلاح فضل قد ترجم المصطلح الذي يستعمله فان ديك للدلالة على مفهوم (Cohesion)؛ لأن فان ديك يستعمل مصطلح (Connection) وبالفعل يرد هذا المصطلح بصيغته عند صلاح فضل وبنفس مفهوم فان ديك حيث يقول فضل: "وإذا كان مصطلح المتتاليات Sequence قد استخدم للإشارة إلى مجموعة الجمل التي تتميز فيما بينها بتحقيق شروط الترابط (Connection) فإن من المعتاد أن تقوم هذه المتتاليات بتكوين نصوصٍ تسم بالتماسك"^(٣) إذ يبرز هنا مصطلح الترابط

(١) نفسه.

(٢) نفسه. ص: ٢٤٣.

(٣) نفسه. ص: ٢٣٦.

(Connection) عند صلاح فضل مرادفًا لمصطلح (Cohesion) لأنه يدل على نفس المفهوم. ويبقى الإشكال قائمًا مع المصطلح العربي (التماسك) الذي عبّر به عن كلا المفهومين (Cohesion) و (Coherence).

ويُقر صلاح فضل بصعوبة تحدد مفهوم التماسك قائلاً: "بالنسبة لبعض العلماء مثل هيلمسليف نجد أن التماسك يعني الصلابة والوحدة والاستمرار"^(١). وهذا يوحي بأن صلاح فضل يعبر بقوله: "التماسك" عن مفهوم (Cohesion).

أما عندما عبر عن مفهوم التماسك عند علماء النص، قال: إنهم "يولون التماسك عناية قصوى،... ويرون أنه خاصيةٌ دلاليةٌ للخطاب تعتمد على كل جملةٍ مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى"^(٢). وهذا يعني أن التماسك هنا يريد به (Coherence) ويؤكد ذلك أنه يكمل حديثه مباشرة بالقول: "ويشرحون -أي: علماء النص- العوامل التي يعتمد عليها الترابط على المستوى السطحي للنص مما يتمثل في مؤشرات لغويةٍ مثل: علامات العطف والوصل والفصل والترقيم وكذلك أسماء الإشارة وأدوات التعريف والأسماء الموصولة..."^(٣)، فهو يقصد هنا المستوى الظاهر من النص وعلاقات العناصر النصية في ظاهر

(١) نفسه.

(٢) نفسه. ص: ٢٤٤.

(٣) نفسه.

النص بعضها ببعض مما يختص به معيار (Cohesion)؛ ولذلك استعمل مصطلح الترابط الذي عبّر به سابقاً عن مصطلح (Connection) المرادف (Cohesion).

وبناءً على ما تقدم فإن صلاح فضل استعمل مصطلحات: الترابط^(١) والانسجام^(٢) والتماسك^(٣) والاتساق^(٤) وأيضا التناغم^(٥) في كتاب واحدٍ يؤسس فيه لعلم النص وتحليل الخطاب. ولا ندري على وجه الدقة متى أراد بها مفهوم (Cohesion)؟ ومتى أراد بها مفهوم (Coherence)؟.

أما سعيد بحيري (١٩٩٧) فقد وضع مصطلح الربط النحوي للدلالة على المعيار الأول (Cohesion) عندما تحدث عن معايير النصية السبعة التي وضعها دي بوجراند ودريسلر قائلاً: "جعل الربط النحوي المعيار الأول ويعنى بكيفية ربط مكونات النص السطحي، أي الكلمات. والتماسك الدلالي المعيار الثاني، ويعنيان به الوظائف التي تشكل من خلالها مكونات عالم النص"^(٦).

(١) ينظر نفسه. ص: ١٣، ١٦، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٩.

(٢) ينظر نفسه. ص: ٣٧، ٢٣٦، ٣٠١.

(٣) ينظر نفسه. ص: ١١، ١٣، ١٥، ٣٢، ٥١.

(٤) ينظر: نفسه ص ٧١، ٧٩، ٨١، ١١٥، ١٢٢، ٢٤٦.

(٥) ينظر نفسه. ص: ١٩٤، ٢٤٩، ٣٠١.

(٦) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات. ط ١. ١٩٩٧. الشركة المصرية للنشر.

القاهرة. ص: ١٤٥

ثم يقدمّ تحديداً دقيقاً لمفهوم كل معيارٍ حيث يقول: "فالأول - ويقصد (Cohesion) - ربطٌ بين علامات لغوية. والثاني - ويقصد (Coherence) ربطٌ بين تصورات عالم النص Textwelt"^(١).

لكن عندما نشر سعيد بحيري لاحقاً - في سنة (٢٠٠٩) - ترجمةً لكتاب العالم اللساني كريستن آدمتسيك بعنوان: لسانيات النص عرض تأسيسي. عبّر عن (Cohesion) بمصطلح الربط النحوي الذي اعتمده في كتابه الأول وأضاف إليه مصطلح السبك الذي أورده بين قوسين على هذا النحو: "الربط النحوي (السبك)"^(٢) وكذلك أورد مصطلح الحبك بين قوسين مع مصطلح التماسك على هذا النحو: "التماسك الدلالي (الحبك)"^(٣) للدلالة على (Coherence) وقد كاد هذا الأمر يُحسب ضمن جهود توحيد المصطلح ذي الجذور التراثية؛ لو أنه اكتفى بذكر المصطلحين السبك والحبك، ولأسهم في عملية تأصيل المصطلحين التي بدأها سعد مصلوح.

أما تمام حسان (١٩٩٨) في ترجمته لأحد أهم كتب نظرية نحو النص وهو كتاب Robert De Beaugrande : "النص

(١) نفسه.

(٢) كريستن آدمتسيك. لسانيات النص عرض تأسيسي. ط١. ٢٠٠٩. مكتبة زهراء الشرق. القاهرة. ص: ١١٢.

(٣) نفسه.

والخطاب والإجراء"؛ فقد اعتمد أحد المصطلحين اللذين اقترحهما مصلوح وهو السبك. وأضرب عن الآخر. حيث يقول: "السبك (Cohesion) يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية The surface text على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط. ووسائل التضام تشتمل على هيئة نحوية للمركبات والتراكيب والجمل، وعلى أمور مثل: التكرار والألفاظ الكنائية وأدوات الإحالة المشتركة والحذف والروابط"^(١).

وواضحٌ هنا أن تمام حسان يعتمد ترجمة سعد مصلوح للمصطلح (Cohesion) وهي السبك. لكن يبدأ الإشكال مع نهاية الفقرة ذاتها حين قال: "ووسائل التضام تشتمل..."^(٢)؛ لأنه جاء بمصطلح آخر عبّر به عن المصطلح الغربي (Cohesion) هو مصطلح التضام. فتمام حسان يضع هنا مصطلحين اثنين لمفهوم واحد؛ إذ يجعل السبك والتضام مترادفين يعبر بهما عن المصطلح الغربي (Cohesion).

أما مصطلح الحبك الذي وضعه سعد مصلوح مقابلاً (Coherence) فقد أثر عليه تمام حسان مصطلحاً آخر هو مصطلح الالتحام^(٣).

(١) دي بوجراند. روبرت آلان. النص والخطاب والإجراء. ط١. ١٩٩٨. عالم

الكتب القاهرة. ص: ١٠٣

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

وتزداد المصطلحات مصطلحاً عند المؤلف ذاته للمفهوم نفسه؛ إذ لاحقاً في سنة ٢٠٠٧ نشر تمام حسان كتابه "اجتهادات لغوية" ووضع فيه ترجمةً لمصطلحات معايير النص، ويضع من بينها ترجمةً جديدةً لـ (Coherence) هي مصطلح التعليق^(١). هو التزم بثنائية مصلوح (السبك والحبك) ولم يلتزم بالترجمة التي وضعها هو نفسه عندما نقل كتاب دي بوجراند "النص والخطاب والإجراء" سنة (١٩٩٨) للعربية، إذ ترجمهما فيه إلى (السبك والالتحام).

وبتعاقب الدراسات وتتابعها تزداد إشكالية المصطلح (Cohesion) وتتفاقم الهوة بين ترجمات الباحثين؛ إذ في سنة (٢٠٠١) يأتي أحمد عفيفي بثلاثة مصطلحاتٍ على سبيل الترادف ويعطفها بأداة العطف "أو" قائلاً: "السبك، أو الربط، أو التضام (Cohesion) هو معيار يهتم بظاهر النص..."^(٢). ثم اختلط أمر المصطلح أكثر وازداد تعقيداً عندما تحدث عفيفي عن المعيار الثاني ووضع أربعة مصطلحاتٍ للدلالة على مفهوم واحد قائلاً: "الحبك، أو التماسك، أو الانسجام، أو الاتساق (Coherence) ويتصل هذا المعيار برصد وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص"^(٣).

(١) اجتهادات لغوية. ط١. ٢٠٠٧. عالم الكتب القاهرة. ص: ٣٧٠.

(٢) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي. ط١. ٢٠٠١. مكتبة زهراء الشرق. القاهرة. ص: ٩٠.

(٣) نفسه.

واستمر الاضطراب والخلط في استعمال تلك الترجمات؛ بل لعل المحير في الأمر هو استعمال الباحث نفسه لأكثر من مصطلح لنفس المفهوم كما مرّ آنفاً عند تمام حسان. وكما هو الحال عند أحمد عفيفي أيضاً فعلاوةً على أن هذا الأخير استعمل مصطلحاتٍ عدةً على سبيل الترادف لمفهومٍ واحدٍ، كذلك نجده يستعمل مصطلحاً بعينه للتعبير عن مفهوميين مختلفين. فمثلاً يستعمل مصطلح التماسك مرةً للدلالة على مفهوم (Cohesion) ^(١) ومرةً للدلالة على مفهوم (Coherence) ^(٢). وجدير بالذكر إشارة بعض الباحثين ^(٣) إلى هذه الفوضى المصطلحية التي نشأت من كثرة المصطلحات التي استعملها الدارسون العرب. فمن أشهر مصطلحات (Cohesion): السبك / الاتساق / التماسك / التضام / الربط / الترابط / الترابط الرصفي / الربط النحوي / الالتئام. وكذلك استعملوا مصطلحات (Coherence): الحبك / التماسك الدلالي / الانسجام / الاتساق / التقارن / التناسق / التعليق / الترابط المفهومي.

(١) أحمد عفيفي. الإحالة في نحو النص بحث نشر في كتاب العربية بين نحو الجملة ونحو النص ج٢. كلية دار العلوم في القاهرة أعمال المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية ٢٢-٢٣ فبراير ٢٠٠٥. ص: ٩، ١٤، ٢٢، ٢٩، ٤٠.

(٢) نفسه. ص: ٩، ١٤، ٦٩.

(٣) ينظر: عبد الكريم. جمعان. مفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النصية. مجلة علامات ج٦١. مج ١٦. ٢٠٠٧. ص: ٢٠٩ وما بعدها.

فوضى تعريب الهمصطلح في اللسانيات

والجدول التالي يرصد الاضطراب في استعمال أشهر تلك المصطلحات وأغلبها استعملت مرةً (Cohesion) ومرةً (Coherence):

م	الباحث	السنة	ترجمة Cohesion	ترجمة Coherence
١	صلاح فضل	١٩٩٠	الترايط	التماسك الدلالي / الانسجام
٢	سعد مصلوح	١٩٩١	السبك	الحبك
٣	محمد خطايي	١٩٩١	الاتساق / التماسك	الاتساق / الانسجام
٤	إلهام غزالة وخليل إبراهيم	١٩٩٢	التضام	التقارن
٥	سعيد بحيري	١٩٩٧ ٢٠٠٩	الربط / الربط النحوي / السبك	التماسك / التماسك الدلالي / الحبك
٦	تمام حسان	١٩٩٨ ٢٠٠٧	السبك / التضام / السبك	الالتحام / التعليق
٧	فالح العجمي	١٩٩٩	التماسك	التناسق
٨	أحمد	٢٠٠١	السبك /	الحبك /

التماسك / الانسجام / الترباط المفهومي	التماسك / الربط / الاتساق / التضام / الترباط الرصفي	٢٠٠٥	عفيفي	
التماسك	الترباط	٢٠٠١	محمود نحلة	٩
الانسجام	الترباط / الاتساق	٢٠٠٤	عمر أبو خرمة	١٠
الانسجام / التماسك	الاتساق / الربط	٢٠٠٧ ٢٠٠٩	نعمان بوقرة	١١

وبحسب جمعان عبد الكريم فإن أغلب الدراسات النصية تتجه إلى "استعمال التماسك في (Cohesion) واستعمال الانسجام في (Coherence)"^(١) ولذلك يتفق الباحث مع جمعان عبد الكريم في ذلك، ويدعو في هذه الدراسة إلى اعتماد هذين المصطلحين والتوافق عليهما ويرشحهما للاستعمال للأسباب التالية:

أولاً: جعل مصطلح التماسك للدلالة على مفهوم (Cohesion) لسببين:

١- استناداً للدلالة اللغوية للفظ "تماسك" إذ إنه بالاستناد إلى الدلالة الوضعية الواردة في معاجم اللغة لكلمة "تماسك"

(١) نفسه. ص: ٢١٠.

فإن الكلمة توحى -أساساً- بأن هناك طرفين أو أكثر، وأن عملية الترابط والتعالق بين تلك الأطراف هي ما يطلق عليه "تماسك". ولذلك يقال "تماسك البناء، وبناءً متماسكاً". وإذا أمعنا النظر فإننا نجد هذه الدلالة الإيحائية في لفظ "تماسك" ولا نجد لها في "سبك" ولا في "اتساق". فالسبك يدل على المتانة والرصف والتهذيب والإذابة - ومنه سبك المعدن- أكثر من دلالاته على ترابط الأجزاء وتعالقها ببعض. أما لفظ الاتساق فإنه يدل على الاستواء والاكتمال - ومنه اتساق القمر أي اكتماله واستواؤه- أكثر من دلالاته على ترابط الأطراف والأجزاء.

٢- أما مصطلحا الربط والتضام فنرى أنهما لا يصلحان للدلالة على (Cohesion)، لأنهما من المصطلحات المستعملة كثيراً للدلالة على بعض وسائل التماسك النصي وأدواته؛ فالربط (Junction) كما هو معروف من أهم وسائل التماسك النحوية. والتضام (collocation) مصطلح يطلقه بعض الدارسين على المصاحبة المعجمية، وهي إحدى وسائل التماسك المعجمي. لذلك فإنه ليس من الصواب استعمال مصطلح واحد لمفهومين مختلفين، أي من غير المقبول استعمال "الربط" تارةً لـ (Cohesion)، وتارةً لـ (Junction).

كما أنه من غير المقبول أن نستعمل "التضام" تارةً لـ (Cohesion)، وتارةً لـ (collocation) لأن ذلك يُحدث

نوعاً من اللبس والخلط بين المصطلحات والمفاهيم المقابلة لها. ولذلك فإن مصطلح التماسك أعم وأشمل من مصطلحي الربط والتضام لأنهما من أدواته. وعلاقتهما به علاقة الجزء بالكل.

ثانياً: جعل مصطلح الانسجام للدلالة على مفهوم (Coherence) وذلك لسببين:

١- أنه أصبح أكثر شيوعاً في الدراسات الحديثة من المصطلحات الأخرى؛ فهو أكثر شيوعاً من مصطلح الحبكة ذي الجذور التراثية.

٢- لم يرد استخدامه عند الباحثين للدلالة على مفهوم (Cohesion) فكل من استعمل مصطلح الانسجام كان يقصد به مفهوم (Coherence). على عكس ما لاحظناه من خلط في استعمال مصطلح التماسك؛ لذلك فإننا إذا اعتمدنا مصطلح التماسك وقصرناه للدلالة على مفهوم (Cohesion) ينتهي الإشكال ويصبح مصطلح الانسجام أنسب وأشهر مصطلح يمكن أن نعبر به على مفهوم (Coherence).

الخاتمة:

اتسعت فوضى مصطلحات لسانيات النص، بتعدد ترجمات الباحثين لها، وازداد الإشكال تعقيداً بتعدد المصطلحات التي تعبر عن مفهوم واحد، حتى نشأ الخلط باستعمال المصطلح ذاته

لأكثر من مفهوم؛ وكانت النتيجة خلط مفاهيمي نراه يزداد كل يوم في عدة دراسات في هذا المجال. وقد نادى عدة باحثين بضرورة توحيد المصطلح اللساني والخروج من فوضى المصطلحات وما نتج عنها من خلط وتضارب وأحياناً غموض في الدراسات اللسانية العربية الحديثة. ورصدت هذه الدراسة جانباً من هذا الخلط والتضارب في استعمال مصطلحين من أشهر مصطلحات لسانيات النص وتحليل الخطاب هما مصطلح (Cohesion) ومصطلح (Coherence).

النتائج والتوصيات :

نستنتج من خلال ما استعرضناه وناقشناه في هذه الدراسة ما يلي:

١- أهم عامل سبب في تعدد المصطلحات المختلفة لمفهوم واحد يكمن في أن بعض الباحثين تعددت مصطلحاتهم بتعدد كتبهم وأبحاثهم ومؤلفاتهم، وهذا أمرٌ محيرٌ في حد ذاته!

٢- أحد أسباب تعدد المصطلحات العربية التي تعبر عن مفهوم واحد هو تعدد المصطلح في الأصل الغربي المترجم، كترجمة مصطلح (Connection) - المرادف (Cohesion) في الدراسات الغربية- الذي ترجمه أحد الباحثين العرب إلى (الترابط) في حين ترجم غيره (Cohesion) إلى التماسك. وهذا يعني أن فوضى

- استعمال المصطلحات المتعددة لمفهوم واحد هي امتداد للفوضى المتأصلة في الدراسات الغربية المترجمة.
- ٣- خلط بعض الباحثين بين المصطلح الذي يعبر عن المفهوم وبين المصطلحات التي تعبر عن أدواته وآلياته. مثل ما نجده من استعمال مصطلحي الربط والتضام عند بعض الباحثين للدلالة على (Cohesion)، لأنهما من المصطلحات المستعملة كثيراً للدلالة على بعض وسائل التماسك النصي.
- ٤- ليس من الصواب استعمال مصطلح واحد لمفهومين مختلفين، فمثلاً: من غير المقبول استعمال "الربط" تارة لـ (Cohesion)، وتارة لـ (Junction).
- ٥- وكذلك ليس من المقبول استعمال التضام تارة للمصاحبة المعجمية (collocation) وتارة أخرى للتماسك (Cohesion).

ويوصي الباحث بما يلي :

- ١- ضرورة توحيد مصطلحات لسانيات النص وتحليل الخطاب.
- ٢- اعتماد مصطلح التماسك للدلالة على مفهوم (Cohesion) واعتماد مصطلح الانسجام للدلالة على مفهوم (Coherence) للأسباب التي وضحتها الدراسة.

٣- دعوۃ كبار الباحثین وخبراء الترجمة والمختصین بحقل الدراسات اللسانية العربیة لوضع معجم مصطلحات موحدۃ للسانیات النص وتحلیل الخطاب. یجمعون فیہ علی اختیار مصطلح محدد لكل مفهوم.

المراجع

- ١- آدمتسيك. كريستن. لسانيات النص عرض تأسيسي. ترجمة: بحيري. سعيد. ط١. ٢٠٠٩. مكتبة زهراء الشرق. القاهرة.
- ٢- بحيري. سعيد. علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات. ط١. ١٩٩٧. الشركة المصرية للنشر. القاهرة.
- ٣- أبو غزالة. إلهام. و خليل. على. مدخل إلى علم لغة النص. ترجمة وتطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند ولفجانج دريسلر. ط١. ١٩٩٢. مطبعة دار الكاتب. نابلس. فلسطين.
- ٤- بوقرة. نعمان. نحو النص؛ مبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية الحديثة. مجلة علامات في النقد. جدة. مج ٦١. ج ١٦. ٢٠٠٧.
- ٥- بوقرة. نعمان. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب. ط١. ٢٠٠٩. عالم الكتب الحديث. عمان. الأردن.
- ٦- حسان. تمام. اجتهادات لغوية. ط١. ٢٠٠٧. عالم الكتب القاهرة.
- ٧- خطابي. محمد. لسانيات النص مدخل لتحليل الخطاب. ط١. ١٩٩١. المركز الثقافي العربي. بيروت.

- ٨- دي بوجراند. روبرت آلان. النص والخطاب والإجراء. ترجمة: تمام حسان. ط١. ١٩٩٨. عالم الكتب القاهرة.
- ٩- شبل. عزة. علم لغة النص النظرية والتطبيق. ط٢. ٢٠٠٩. مكتبة الآداب. القاهرة.
- ١٠- عاصم . علي شحادة، عاصم شحادة علي. ٢٠١٢. مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت ديوجراند وولفجانج دريسلر. (مراجعات الكتب) مجلة التجديد المجلد ١٦، العدد ٣١.
- ١١- عبد الكريم. جمعان. مفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النصية. مجلة علامات ج٦١. مج ١٦. ٢٠٠٧.
- ١٢- عفيفي. أحمد. ٢٠٠١. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي. ط١. مكتبة زهراء الشرق. القاهرة.
- ١٣- عفيفي. أحمد. الإحالة في نحو النص بحث نشر في كتاب العربية بين نحو الجملة ونحو النص ج٢. أعمال المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية ٢٢-٢٣ فبراير ٢٠٠٥. كلية دار العلوم القاهرة.
- ١٤- عفيفي. أحمد. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي. ط١. ٢٠٠١. مكتبة زهراء الشرق. القاهرة.
- ١٥- فضل. صلاح. بلاغة الخطاب وعلم النص. سلسلة عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. العدد ١٦٤. ١٩٩٢.

١٦- مصلوح. سعد. نحو أجرومية للنص الشعري. دراسة في قصيدة جاهلية. مجلة فصول. المجلد ١٠. العددان ١ و ٢. ١٩٩١.

١٧- نحلة. محمود أحمد. علم اللغة النظامي مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي ط ٢. ٢٠٠١. ملتقى الفكر.

المصادر الأجنبية

- 1- De Beaugrande, Robert (1980), Text Discourse and Process, Towards Alex Publishing Corporation.
- 2- De Beaugrande, Robert and Wolfgang Dressler (1981), Introduction to Text Linguistics, London & New York: Longman.
- 3- Halliday, M.A.K. and R. Hasan (1976), Cohesion in English, London & New York: Longman.
- 4- Van Dijk, T. A. (1972), Some Aspects of Text Gramar, Haag.
- 5- Van Dijk, TeunA. (1977), Text and Context: Explorations in the Semantics and Pragmatics of Discourse London: Longman.